بحر العلوم
في تفسير القرآن

للشيخ علي بن يحيى السمرقندي (٨٦٠ هـ)؛
عرض وتعريف

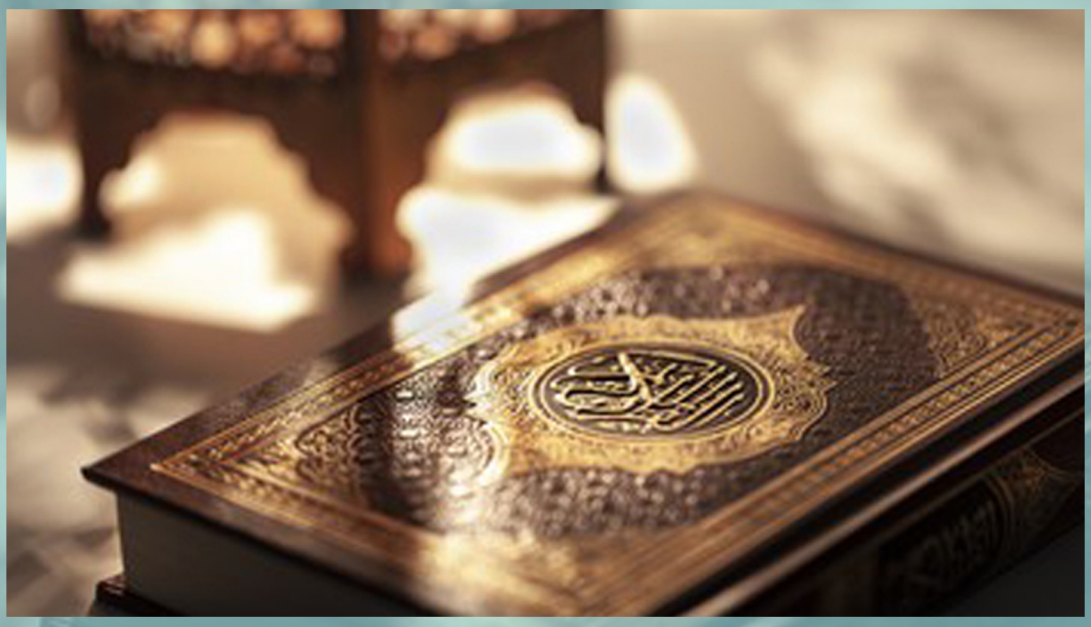

أحمد علي سالم أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(بحر العلوم في تفسير القرآن) للشيخ عليّ بن يحيى السمرقنديّ (٨٦٠هـ)؛ عرض وتعريف.

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإنَّ علم التفسير علمٌ جليل القدر، عظيم المنزلة؛ فشرفه وقدره مستمدٌّ من شرف ما يتعلق به، وهو كلام الله تعالى المجيد، وقد قيّضَ الله تعالى لخدمة كتابه العظيم رجالا أوفياءَ على مرِّ العصور والأزمان؛ فكَثُرت التفاسير والمصنفات التي تغوص في بحار القرآن الكريم وعلومه، والتي حاول أصحابها استخراجَ الدرر واللآلئ من كتاب الله تعالى.

ومن هذه التفاسير القيّمة: "بحر العلوم في تفسير القرآن" للشيخ علاء الدين عليّ بن يحيى السَّمَرقنديّ المتوفى سنة (٨٦٠هـ)، وهو تفسير فخمٌ ضخمٌ، كان إلى عهد قريب في طور الخفاء، وبين أضابير المخطوطات، إلى أن وفقنا الله تعالى إلى الوقوف على بعض نُسَخِهِ المخطوطة في مكتبات مختلفة، ثم شرعنا في تحقيقه ضمن مشروع يشترك فيه **عشرة باحثين**، في قسم اللغة العربية، شعبة الدراسات الإسلامية، بكلية الآداب، جامعة طنطا، بمصر المحروسة، تحت إشراف: **الأستاذ الدكتور محمد عطا يوسف**، أستاذ الدراسات الإسلامية بالكلية.(١)

وكانت باكورة هذا المشروع المبارك **(من أول الكتاب إلى نهاية الآية السادسة والسبعين بعد المئة من سورة البقرة)**، وحصلتُ بفضل الله تعالى على رسالة الماجستير

---

(١) وقد نوقشت الرسالة الأولى في تحقيق ودراسة هذا التفسير المبارك بالكلية المذكورة بتاريخ: **الحادي عشر من شهر ربيع الآخر لعام ألف وأربعمئة وثلاث وأربعين هجريا، والموافق: (الثلاثاء) السادس عشر من شهر نوفمبر لعام ألفين وواحد وعشرين ميلاديا**، والتي كانت من نصيب كاتب هذا المقال.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بتقدير ممتاز في تحقيق ودراسة هذا القدر من الكتاب، **وسوف تُناقش بقية الرسائل عما قريب**، ويخرج التفسير كاملا. -إن شاء الله-

ومن الجدير بالذكر أن تفسير بحر العلوم، لم يكمله الشيخ علي السمرقندي رحمه الله، بل انتهى إلى أثناء سورة المجادلة، ثم أتى بعده الشيخ جمال الدين القَرْمَانيُّ (٩٣٠هـ) فأكمله إلى نهاية القرآن الكريم، والتكملة أيضا داخلة في المشروع، فقد سجل فيها ثلاثة من الباحثين-ضمن العشرة- للحصول على درجة الماجستير.

◈ تنبيه مهم:

من الضروري هنا الإشارة إلى مسألة مهمة تتعلق بتفسير بحر العلوم، فإن المختصين بعلم التفسير أول ما يطرق أسماعهم أن هناك تفسيرا يسمى: (بحر العلوم) ظنوا أنه المطبوع، الذي من تأليف أبي الليث السمرقندي رحمه الله، والصواب أن بحر العلوم هو اسم لتفسير الشيخ علي السمرقندي وحده، وليس اسما صحيحا لتفسير أبي الليث السمرقندي، وقد عقدت فصلا كاملا في قسم الدراسة حول المقارنة بين تفسير أبي الليث السمرقندي، وبين تفسير بحر العلوم من عدة جهاتٍ، مستفيدا بجهود السابقين من الباحثين العلماء.[١]

وتأتي هذه المقالة للتعريف بهذا المشروع المبارك، وسوف تتمركز المقالة إن شاء الله حول النقاط التالية:

أولا: التعريف بالشيخ علي السمرقندي رحمه الله.

ثانيا: تعريف موجز بتفسير بحر العلوم.

ثالثا: أهم الملامح المنهجية لتفسير بحر العلوم.

---

(١) ومن تلكم الجهود المباركة: بحث بعنوان: تحقيق نسبة كتاب (بحر العلوم) في التفسير، الأستاذ الدكتور صالح صواب، مقدم إلى الندوة المنعقدة في كلية علي بن يحيى السمرقندي بتركيا، ومقالة للأستاذ الدكتور أنور محمود خطاب بعنوان: "تفسير الإمام أبي الليث السمرقندي: نظرات في تحقيق اسم الكتاب" منشورة على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية على الشبكة العنكبوتية. عام النشر: ٨ ربيع الأول ١٤٤١هـ- ٥ نوفمبر ٢٠١٩م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ أولا: التعريف بالشيخ علي السمرقندي -رحمه الله-.

بادئ ذي بدء أقول: إن المصادر التي ترجمت للمُؤلف – رحمه الله – قليلة جدا، فلم أجِد لهُ ترجمةً مُوسّعةً فِيما لدي مِن مصادِر في هذا الشأنِ، فقد ضنت كتب التّاريخِ والتراجم عن ترجمة تستوعب هذا العالم الفاضل، فلم يُترجم له إلا في كتاب: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، وذلك في تراجم الطبقة السادسة من علماء الدولة العثمانية، وفيه: "ومِنهُم العارف بالله المولى العالم العامِل السّيِّد علاء الدّين السّمرقندي، اشتغل فِي بلاده بالعلم الشريف، بلغ من العلوم مرتبة الفضل، ثمّ سلك مسلك الصُّوفيّة والتصوف، ونال من تلك الطّريقة حظا جسيما، وبلغ منها محلا عظيما، ثمّ أتى بِلاد الرّوم، توطن بمدينة لارنده[١] وصنف فِي التّفسِير كتابا فِي أربع مجلدات، ولم يكمله، وانتهى إلى سُورة المجادلة، وأدرج فيه فوائد جزيلة، ودقائق جليلة انتخبها من كتب التفاسير، وأضاف اليها فوائد من عِند نفسه مع عِبارات فصيحة بليغة، وكان معمّرا، قيل إنّه جاوز مائة وخمسين، وقيل جاوز المائتين، والله أعلم بحقيقة الحال."[٢]

ويقول حاجي خليفة: "بحر العلوم في التفسير، للشيخ الفاضل السيد علاء الدين: علي السمرقندي، ثم القَرْمَانيّ، تلميذ الشيخ: علاء الدين البخاري المتوفى: في حدود سنة ستين وثمانمائة بلارنده. وهو كتاب كبير فيه فوائد جليلة، انتخبها من: كتب التفاسير، وأضاف إليها: فوائد من عنده بعبارات فصيحة، وانتهى إلى: سورة المجادلة، أربع مجلدات."[٣]

---

(١) هي مدينة ببلاد الروم (تركيا) ذات بساتين كثيرة، وخيرات غزيرة، وهي الاسم القديم لإقليم قرمان. ينظر: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، أحمد بن يوسف الدمشقي المعروف بالقرماني، (٤٥٤/٣)، تحقيق: فهمي سعد – أحمد حطيط، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٢) الشقائق النعمانية، عصام الدين طاشْكُبْري زَادَهْ، ص: ٥١، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ١٩٧٥م.

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (٢٢٥/١)، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد، تاريخ النشر: ١٩٤١م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكذلك تُرجِم له في مصادرَ أخرى[١] لكنها لم تأتِ بجديد في ترجمة المؤلف- رحمه الله- بل نقلت من الشقائق النعمانية وكشف الظنون، فلم تكشف لنا إلا عن القليل جدا من سيرته.

وقد وقفت بفضل الله تعالى أثناء بحثي عن ترجمة أوسع للمؤلف -رحمه الله- على بعض المخطوطات التي تتحدث عن أحواله ومقالاته، جاء فيها عبارات قيّمة تشير إلى مكانته الكبيرة.

جاء في مقدمة أحدها: "فهذا كتاب موسوم بجامع اللطائف في شرح أحوال الشريف العارف، قدوة الأكملين، وعمدة المقربين، أشرف أولاد سيد المرسلين، الشيخ الكبير، والخطيب المنير، مربي أطفال السالكين بالأغذية المعنوية المطبوخة في مطبخ سيد الأولين والآخرين، شيخنا الأكبر، وإمامنا الأزهر... إمام بخارى وسمرقند وهمام وخراسان ونهاوند، مخزن البلاغة، ومعدن الفصاحة: السيد علاء الدين الشيخ علي السمرقندي ابن السيد يحيى الشرواني رضي الله عنهما في الدارين..."[٢]

وفي مخطوط آخر كان يقدم كاتبه لمقالات الشيخ علي السمرقندي رحمه الله بعبارات فخمة تدل على مكانته العلمية والروحية العظيمة، ومن هذه العبارات على سبيل المثال:

- " قال سلطانُ العارفين، وبُرهانُ الكُمَّلينَ، شيخنا العارفُ الشَّرِيفُ السَّمرقَنديُّ قدَّس اللهُ سرَّهُ"
- "قال قطب العارفين -رضي الله عنه-"
- "قال الأستاذ العلَّامة قُدِّسَ سِرُّهُ"

---

(١) ينظر: الأعلام للزركلي (٣٢/٥)، وهدية العارفين للبغدادي (٧٣٣/١)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص: ٣٣٥، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٢٣٣/٧)، ومعجم المؤلفين (٢٦١/٧)، ومعجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» لعادل نويهض (٣٩٠/١).

(٢) المخطوط لمحمد بن محمد بن عبد الله نور بخش الشاعر الصوفي المتكلّم نزيل بالريّ المتوفي ٨٦٩، وعنوانه: ترجمة جامع اللطائف في شرح أحوال الشريف العريف = مناقب شيخ علي السمرقندي، حاجي محمود ٤٦٤٥ ورقة ٤٣؛ ١١٥٣ هـ. ينظر: معجم تاريخ التراث الإسلامي (٣٠٧٩/٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- "قال قدوةُ المُحقّقين، وعُمدةُ المدَقِّقين –رضي اللهُ عنه–"
- "قال مولانا الهُمامُ المُعظمُ، والإمام المفخَّمُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ المكَرَّمُ"
- "قال الكامل الفاضلُ –رضي الله عنه–" (١)

فهذه عبارات فخمة عطرة، تدل على مكانة هذا الرجل، وعلوّ كعبه في علوم كثيرة، وتدل على أنه كان من العلماء العارفين العاملين، فرضي الله عنه، ورحمه وألحقنا به على الإيمان.

❁ ثانيا: التعريف بتفسير بحر العلوم.

سبق وأن عرَّف بتفسير بحر العلوم حاجي خليفة فقال: "بحر العلوم في التفسير، للشيخ الفاضل السيد علاء الدين: علي السمرقندي، ثم القرماني، تلميذ الشيخ: علاء الدين البخاري المتوفى: في حدود سنة ستين وثمانمائة بلارنده. وهو كتاب كبير فيه فوائد جليلة، انتخبها من: كتب التفاسير، وأضاف إليها: فوائد من عنده بعبارات فصيحة، وانتهى إلى: سورة المجادلة، أربع مجلدات."

والحقيقة أن بحر العلوم له من اسمه نصيب، فقد حلَّق المؤلف –رحمه الله– بنا في سماء العلوم المتنوعة، وعلى رأسها: علوم اللغة العربية، خاصة البلاغة، وعلم الكلام، وعلم القراءات، وقد أبان المؤلف رحمه الله عن طريقته في تفسيره، وعن تلكم العلوم التي سيجعلها مرتكزاتِ في طريقه أثناء تفسيره لكتاب الله عزّ وجل، فقال– رحمه الله– في مقدمة تفسيره: "ولن يستكمِل المرءُ خِلال الاستقلال بِالتحقِيقِ فِي تفسِيرِهِ، والنظر والتدقِيق فِي تِأوِيلِهِ ما لم يكُن ريانًا مِن العلومِ الدقِيقةِ، سِيما الفُنُونُ الأدبِيةُ؛ ومِن ثم اتفقت كلِمةُ المهرةِ الأعلامِ مِن نحارِيرِ عُلماءِ الإِسلام على أن لا يخُوض في لُججِ أسرارِهِ ودقائقِهِ، ولا يغُوص على غُررِ فرائده وحقائقه إلا من برع في علمينِ مُختصّينِ بالقُرآنِ وهما:

---

(١) مخطوط المقالات – في التصوّف، مكتبة عاشر أفندي رقم ١٥٨/ ٢. انظر: معجم تاريخ التراث الإسلامي (٢٢١٨/٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المعاني والبيانِ، ماهرًا فِي اللُّغةِ والنحوِ والاستِعمالِ والأُصُولِ وعِلمِ طُرُقِ القِياسِ والاستِدلالِ."

وقال رحمه الله أيضا: "فأنشأتُ هذا الكِتاب المُترجم بِبحرِ العُلُومِ فِي تفسِيرِ القُرآن، مُنطوِيًا على فوائِد شرِيفةٍ تهتزُّ لإدراكِها الأذهانُ، مع توضِيحٍ لِما اقتصر فِيهِ المُحقِّقُون، وتنقِيحٍ لِما آثرهُ المهرةُ المُتقِنُون، مُحتوِيًا على لطائِف عُلومٍ جمّةٍ، مع حُججٍ مُرصصةٍ، ودلائِل مُؤسسةٍ على عقائد عُظماءِ الملةِ سيما لطائفُ الأصولِ وعلمُ المعاني والبيانِ."[1]

فهذه العبارات التي نصّ عليها المؤلف رحمه الله في مقدمته تزيدنا بصيرةً عن المنهجِ الذي اتّبعهُ في تفسيره، وتكشف لنا مبكرا عن خطة المؤلف –إن صح التعبير–.

❁ **ثالثا: أهم الملامح المنهجية لتفسير بحر العلوم.**

سوف أوجزُ –إن شاء الله– **الخطوط العامة لمنهج المؤلف** –رحمه الله– في تفسير بحر العلوم من خلال النقاط الآتية:

◈ **أولا:** جمع تفسير بحر العلوم بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور، وإن كان الغالب عليه أنه تفسير بالرأي؛ لما حواه من استطرادات كبيرة في مباحث بعيدة عن علم التفسير.

◈ **ثانيا:** اعتمد المؤلفُ –رحمه الله– على مجموعة كبيرة من التفاسير السابقة عليه، ومن أبرزها: الكشّاف للزمخشري، وتفسير البيضاوي، وحاشية التفتازاني على الكشاف؛ فكانت هذه الثلاثية محور اهتمامه، ولم يقتصر –رحمه الله– على النقل من الثلاثة السابقين، بل كان أحيانا ينتقي عبارات أبي الليث السمرقندي في تفسيره، وينقل عنه أقوال المفسرين، وكذا عن الثعلبي، وأبي المظفر السمعاني، والبغوي؛ فحفظ لنا وجمع نقولاتِ كثيرة، وضمَّنَ كتابَه فوائدَ متنوعة في علومٍ شتَّى.

---

(١) انظر: قسم التحقيق ص: ١٢٣. (ستنشر الرسالة عما قريب –إن شاء الله–)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

◈ **ثالثا:** لم يقتصر المؤلف –رحمه الله– على مجردِ النقل عن المفسرين السابقين عليه فقط، بل كان يُعقِّبُ أحيانا، ويوجه الأقوال، وينتقد ويرجِّح ما يراه صوابا.

◈ **رابعا:** اهتمَّ اهتماما كبيرا بذكر القراءات، سواء أكانت متواترة أم شاذة، غير أنه توسَّع كثيرا في عرض وتوجيه القراءات الشاذة والغريبة.

◈ **خامسا:** اهتم اهتماما كبيرا بعلم أصول الدين، على مذهب أهل السنة، واهتمَّ بالردِّ على الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، وبخاصة: المعتزلة والفلاسفة.

◈ **سادسا:** اعتنى عناية فائقة جدا بإبراز الأوجه البلاغية للآيات القرآنية، وعرض للمناقشات والأخذ والرد الذي دار بين البلاغيين، وكذلك الأوجه النحوية.

◈ **سابعا:** اهتمَّ اهتماما واضحا بذكر مسائل الفقه وأصوله عند بعض الآيات، وبخاصة آيات الأحكام، وكان يعرض أحيانا أقوال الفقهاء، لا سيما أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله، ولم يكن من منهجه الترجيح بين الأقوال، إلا أنه أحيانا كان يقتصر في نقله على كتبِ الحنفية فقط؛ لكونه حنفيَّ المذهب.

◈**ثامنا:** اهتمَّ في كثيرٍ من المواطنِ بذكر أسباب النزول في التفسير.

◈ **تاسعا:** اهتمَّ بذكر الأحاديث النبوية، بما فيها الصحيح والضعيف والموضوع.

◈ **عاشرا:** كان من منهجه ألا يعزو الأقوال إلى أصحابها، بل يسوق الكلام دون إحالة إلى مصدره، أو قائل، وكان أحيانا يقول: "قال بعضهم"، أو "قيل"، إلا ما قليلا.

◈ **حادي عشر:** كان من منهجه –رحمه الله– في النقلِ عن المصادر ألا يتصرف في العبارة، بل كان ينقلها بنصها، إلا في مواطن قليلة.

◈ **ثاني عشر:** كان أحيانا يقدم اختيار البيضاوي في عرضه لأقوال المفسرين، ويرجحه.

◈ **ثالث عشر:** كان من منهجه –رحمه الله– أن يختم تفسير السورة بذكر حديث يبيِّنُ فضلها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبعد هذا العرض الموجز لمشروع تحقيق ودراسة بحر العلوم في تفسير القرآن، والتعريف بمؤلفه –الشيخ علي السمرقندي –رحمه الله–، وإبراز أهم ملامحه المنهجية، يمكننا القول: إنه بخروج هذا التفسير المبارك إلى النور– إن شاء الله– ستُفتَح آفاقٌ جديدةٌ للمهتمين بالعلوم الشرعية عموما، وللمهتمين بالدراسات القرآنية خصوصا؛ إذ إنه يحتاج إلى تسليط الضوء عليه، وعلى ما حواه من قضايا تفسيرية وكلامية ولغوية – خاصة البلاغية–، كما أنه سيفيد جدا المهتمين بعلم القراءات؛ لما فيه من اهتمام كبير بالقراءات وتوجيهها، لاسيما القراءات الشاذة والغريبة، فأرجو الله تعالى أن يكون هذا التفسير فتحًا جديدا، وبابا جديدا لبحوث قيّمة، ورسائل نافعة لطلبة العلم.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمنّي ومن الشيطان، وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله أجمعين.

كتبه الباحث الأول في هذا المشروع المبارك:

أحمد علي سالم أحمد